بداية مفصل حزبي

بداياتي فدائية صرفة. سبقها كما حال العديدين تنظيم تظاهرات في المدارس وإلقاء الحجارة على جنود الاحتلال. لم أكن قد أكملت الثانوية بعد. والعملية التي نفذتها مجموعة تابعة للشهيد وديع حداد في مطار غنتيبي بهرتني وشحننتني، وربما حددت ميولي ووطئت شغاف قلبي.

لقد تابعت العملية عبر وسائل الإعلام، وهنا ارتفع اسم الجبهة الشعبية عالياً. لم يكن قد نشر بعد أن الشهيد وديع حداد كان في ميدان المعركة وأنه اقترح توزيع الركاب على أماكن سرية خلافاً لرغبة رئيس الدولة عيدي أمين.

حضرتي هذه العملية إلى درجة توجيهي لمنزل أحد الرفاق المحررين من السجون معرباً له عن ميولي واستعداداتي.

صادفت أحد نشطاء الجبهة (عاملاً من قطاع غزة) أصبح عنواناً لمجموعة من الشباب. وكان الانطباع لدي أن رفاق غزة هم نموذج جيفارا (محمود الأسود) الذي اكتسب شهرة كبيرة قبل استشهاده.

كان لدى أحد أعضاء المجموعة مسدس، شرح لنا كيفية استخدامه، تفكيكه، تلقيمه بالرصاص وإطلاق النار.

جرى اعتقالني بعد فترة قصيرة وأمضيت بضعة أشهر في السجن.

كان السجن منعطفاً بكل معنى الكلمة، حيث التقيت برفاق كان أهمهم «علي الجمال» رمز الصمود والتحدي في الزنازين الذي أمضى سنوات في الاعتقال الإداري. شرح لي بعض مفاهيم الديالكتيك، كما التقيت بالرفيق «علي القطاوي» الذي عرف بشجاعته الفدائية في قطاع غزة وتقدمه في صفوف التنظيم بعد ذلك. وفي اعتقال لاحق التقيت بالرفيق مخلص برغال ورفاقه وهم مجموعة فدائية من ال ٤٨ ومحكومياتهم بعشرات السنين، ومعروف عن برغال مزاياه القيادية والفولاذية وهو من عائلة مناضلة اعتقل معظم أفرادها.

زودني الرفاق في السجن بطائفة كراسات وتعاميم جذبتني إلى فكر الجبهة وعبأتني ببعض خبرات العمل السري خصوصاً الأسماء المستعارة والنقاط الميتة والتمويه...

أقبلت على هذه النشريات والتهمتها كمتعش، وبذلك بات انحيازي للجبهة واعياً.

ما أن أطلق سراحي، شرعت بتشكيل مجموعة نضالية اخترت نفسها من خلال بعض أنشطة العنف الشعبي كإلقاء زجاجات حارقة وإلقاء الحجارة وكتابة شعارات جدارية مستوحاة من رؤية الجبهة. لكن المسألة الأكثر أهمية كانت إيفاد رفاق للتدريب العسكري في لبنان...